بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ من نعَم الله العظيمة على عِباده نعمَةُ اللباس بأنواعِه المُختلفة وأصنافِه العَديدة، يقُول الله تعَالى مُذكِّراً بهذه النِّعمَة: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾ [النحل].

فبيَّن جلَّ وعلا في هذه الآيات العَظيمة نعمَتهُ على عِبادِه بأنْ جعَل لهُم سَرابيل وهي القُمصان ونحوُها من ثياب القطن والكتَّان والصُّوف يتَّقُون بها الحرَّ والبرد ويتجمَّلون بها ويسترون بها عَوراتهم.

فلا ريبَ أنَّ اللباس نعمةٌ عظيمةٌ ومنَّةٌ كبيرةٌ يجبُ على عبد الله المُؤمن أن يقُوم بشُكرها وأن يستعمِلها في طاعة الله ورضوَانه وما يقرِّب إليه، وأن يحذَر أشدَّ الحذر من مُخالفة أمر الله في اللباس في صفته ونوعِه وشرُوطه وضوابطِه وآدابه التي جاءَت بها الشريعة.

وليحذَر المُسلمُ في هذا الباب من كيد الشيطان ومكرِه وطرقه الخفيَّة لصدِّ الإنسان عن الحق في هذا الباب وإيقاعه في أنواع من المُخالفات، فقد بيّن الله تعالى أنَّ عداوة الشيطان للإنسان في هذا الأمر وغيره قديمة، وذكر سُبحانه في القُرآن احتياله على الأبوين ووَسوَسته لهُما ليُبدِيَ لهُما ما وُورِيَ عنهُما من سَوآتِهما، ودخل عليهما في هذا الأمر من طرق خفيَّة، وظهر لهما بصُورة النَّاصح الأمين، وحلفَ لهما على ذلك، ودلاَّهما بغرور، أي أنزلهما عن رتبتهم العليَّة التي هي البعدُ عن المعاصي والذنوب إلى الوقوع فيها.

يقُول الله تعَالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا

مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف].

فتداركهما الله برحمته ومنَّ عليهما بعفوه فغفَر لهُما ذلك، كما قال سبحانه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه]، هذا وإبليس مُستمرٌّ في طغيانه، غيرُ مقلع عن عِصيانه، حريصٌ أشدَّ الحِرص على إغواءِ الذريَّة كما أغوى الأبوين، ولهذا اتَّجه الخِطاب في هذا السياق الكريم إلى الذريَّة للحَذَر من هذا المُضِلِّ الفتَّان من أن يفتِنَهُم بالوَسْوَسَة كما فعَل مع الأبوين، قال الله تعَالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف]، فذكَّرهم سُبحَانه بما منَّ عليهم ويسَّر لهم من اللباس البَاطِن والظاهر، فاللباس البَاطن هو تقوى الله، وهو يستمرُّ مع العبد ولا يَبْلى ولا يَبيد ما حافظ عليه العبد، وهو جمَالٌ للقلب والرُّوح، واللباس الظاهر هو الذي يستر به المُسلم عَورتَه ويُواري به سَوأته ويكُون جمالاً للنَّاس.

وإذا فقد الإنسان لبَاسه الظاهر أو نزعه بدت سوأتُه، وفي هذا دليلٌ على أنَّ كشف العَورة من عظائِم الأمُور، وأنَّه مُستهجن في الطباع، ولذلك سُميت سَوأة؛ لأنَّه يسُوء صاحبُها انكشافَها، وأمَّا اللباس الباطن وهو التقوى فبتقدير عدمه فإنها تنكشف عورته الباطنة وينال الخزي والفضيحة ويقع في أنواع الفساد والرذيلة، ويتعرَّى بذلك من كساء الحياء والخوف والمراقبة والستر والعفَّة وغير ذلك، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾؛ لأنَّه يترتَّب على صلاحه صلاح الظاهر، ويترتَّب على فساده فساد الظاهر.

ثم قال سُبحانه بعدَ تذكِيره بهذه النعمة موجِّهًا الخطاب للذريَّة: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف]، فحذَّر سُبحانه الذريَّةَ من أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم بأن يُزيِّن لهم المعاصي ويرغِّبهم في المحرَّمات ويوقعهم في الخطيئة، وأخبرَ سُبحانه أنَّ هذا العدوَّ يراهم من

حيث لا يرونه، قال مالك بن دينار: «إنَّ عدوًّا يراك ولا تراه لشديد المؤنة؛ إلا من عصَم الله».

وإذا كان هذا العدوُّ قد تمكَّن ببالغ كيده وشدَّة اهتمامه وتوالي وسْوَسته أن يُخرج الأبوين من الجنَّة؛ فلأن يتمكَّن من إيصال شيء من هذه المضار وإلقاء شيء من هذه الوساوس إلى الذريَّة من باب أولى، ولاسيما النِّساء لشدَّةِ ضعفهنَّ وقلَّة إدراك كثير منهنَّ.

وبهذه اللفتة القويَّة حذّر تعالى بني آدم منه بالاحتراز الدائم من كيده ووسوسته، وختم سُبحانه الآية بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، أمَّا المؤمنون فليس له سلطان عليهم ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ [النحل]، ولهذا فبقدر ضعف الإيمان في الإنسان يكون نفوذُ الشيطان إليه.

ثمَّ إنَّ الله تبارك وتعالى خاطب بني آدم خطابًا آخر في هذا السياق له تعلّق باللباس، فقال سبحانه: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف].

فأخبر سُبحانه أنَّه أخرج لعباده الزينة من أنواع اللباس على اختلاف أصنافه والطيِّبات من الرزق من مأكل ومشرب بجميع أنواعه، وجميعُ هذه الأشياء الأصلُ فيها الإباحة والحل إلا ما جاءت الشريعة بتحريمه من ذلك، وليس لأحد أن يحرِّم شيئًا من ذلك إلا بدليل شرعي صريح، ولذا قال سبحانه: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾، أي مَن هذا الذي يُقْدِم على تحريم ما أنعم الله على العباد؟ ومَن ذا الذي يضيِّق عليهم ما وسَّعه الله؟ ولهذا فالأصل في العادات من المآكل والمشارب والملابس والذهاب والمجيء والكلام وسائر التصرُّفات المعتادة الحِلُّ، فلا يحرم منها إلاَّ ما حرَّمه الله ورسوله، إمَّا بنصٍّ صريح أو يدخل في عموم أو قياس صحيح، وإلاَّ فسائر العادات حلال، كما دلَّ على ذلك النص المتقدِّم، وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة:٢٩]، وغيرهما من النصوص.

الفتنة في اللباس

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبعت على نفقة بعض المحسنين جزاهم الله خيرًا

فالله جلّ وعلا أمر عباده باللّباس ولم يُعيِّن نوعًا منه يجب التزامه، وإنّما الأمر في ذلك عائِدٌ إلى عادات النَّاس وأعرافهم، لكن جاءت الشريعة بجُملةٍ من الضوابط والشُّروط لابدَّ من مُراعَاتها في اللباس، وقد بسَطها أهل العلم في مؤلفات عديدة.

ومن ذلك: أنَّه يحرُم على المُسلم أن يلبسَ من الثياب ما فيه تشبُّهٌ بالكفَّار، فقد ثبتَ عن النبي ﷺ النهيُ عن التشبه بهم في أحاديث عديدة، ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ رأى عليه ثوبين معصفرين فقال: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»(٢)، وهذا يدلُّ بالنص الصريح على حرمة التشبه بالكفار في اللباس وفي الهيئة وفي المظهر، كلبس البناطيل الضيِّقة التي تصف العورة وتحجمها، أو لبس الملابس التي تحمل شعارات الكفار كالصليب ونحوه، أو لبس الملابس التي تحمل الصور المحرَّمة لذوات الأرواح، أو لبس شيء من أزيائهم الخاصة ونحو ذلك.

كما يحرم على الرجال لبس الحرير، لما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ»(٣)، وعنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ»(٤)، ورخَّص النبي ﷺ في لبسه لمَن به حكّة كما في حديث أنس رضي الله عنه(٥).

ويحرم الإسبال في الثياب لحديث ابن عمر عنه ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٦)، وثبت من حديث أبي ذر أنَّ النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟» قَالَ: «الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»(٧).

ويحرم كذلك لباس الشهرة، وهو كل لبسة يكون بها مُشتهراً بين الناس، كالخروج من عادة أهل بلده وعشيرته، فينبغي أن يلبس ما يلبسون لئلاَّ يُشار إليه بالأصابع، إلاَّ إذا كانت ألبستهم مخالفة للشريعة فليس له موافقتهم.

(١) أخرجه أبو داود في السنن (١٣٠٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في (صحيح الجامع) (٩٤١٦).
(٢) رواه مسلم (٧٧٠٢).
(٣) رواه البخاري (٤٣٨٥)، ومسلم (٩٦٠٢).
(٤) رواه البخاري (٥٣٨٥)، ومسلم (٩٦٠٢).
(٥) رواه البخاري (٩٣٨٥)، ومسلم (٦٧٠٢).
(٦) رواه البخاري (٥٦٦٣)، ومسلم (٥٨٠٢).
(٧) رواه مسلم (٦٠١).

وكان أحبّ الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص كما في حديث أم سلمة(٨).
والقميص: ثوب مخيط بكُمَّين غير مفرج، وسبب حبِّه ﷺ للقميص؛ لأنَّه يستر الأعضاء أكثر من الإزار والرداء، ولأنَّه أقل مؤنة وأخف على البدن، وكان ﷺ يحبُّ اللون الأبيض في الثياب، فعن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ(٩).

ولا يجوز اللون الأحمر البحت لما في حديث البراء بن عازب: «نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الْمَيَاثِرِ الْحُمْرِ»(١٠)، أمَّا إذا كان ليس بالأحمر البحت أي فيه لون آخر فالصحيح جواز لبسه، لما في الصحيحين عن البراء رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا، وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ»(١١).

إلى غير ذلك من الأحكام العظيمة والتوجيهات السديدة التي جاءت بها الشريعة فيما يتعلَّق باللباس وضوابطه، ممَّا يدل على كمال الشريعة وتمامها، والتي بها دون غيرها يكون سلامة الإنسان من فتنة الشيطان في شأن اللباس أو غيره من الأمور.

والواجبُ على المَرأة على وجهِ الخُصوص أن تحذَر أشدَّ الحَذر مِن كيد الأعدَاء ووَسَاوس الشيطان في خُطواتٍ لهُم جَريئة نحو تجريد المَرأة من لباسِها وتعريتها من حِشمَتها في ثيابٍ كَثيرةٍ زُجَّ بها في أسواق المُسلمين تَوريطًا للمَرأة المُسلمة وإيقاعًا لها في حمأة الرذيلة. فلتتق الله المرأة المُسلمة ولتُراقب ربَّها جَلّ وعَلا في السّر والعلانية ولتَعلَم أنَّ سترها ولباسها يُعدُّ حشمة لها، وصِمَام أمان لها يحفظها بإذن الله من الفتن وعاديات السوء. والحديث عن أنواع اللباس التي زُجّ بها لتوريط المرأة فيها كثيرة جداً، حتَّى إنه بات من المُعضلات أن يجد أهلُ الفضل والخير لباسًا مُحتشمًا يشترونه لنسائهم وبناتهم.

ألا فلتتق الله جميعا - تجار وآباء ونساء وأولاد وبنات ورجال - لتتق الله ﷻ في باب اللباس ولتراقبه سُبحانه في السر والعلانية والغيب والشهادة.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام ألبس قُلوبنا لباس التقوى وزيِّنا بالجمال الظاهر، ومُنَّ علينا جميعًا بالحشمة والوقار، وجنِّبنا يا ذا الجلال والإكرام مُنكرات الأخلاق والأهواء والأدواء إنَّك سَميع الدُّعاء.

www.al-badr.net

(٨) رواه أبو داود (٥٢٠٤)، والترمذي (٢٦٧١)، وصححه الألباني رحمه الله في (صحيح الجامع) (٥٢٦٤).
(٩) رواه الترمذي (٤٩٩)، وصححه الألباني رحمه الله في (صحيح الجامع) (٦٣٢١).
(١٠) رواه البخاري (٨٣٨٥)، ومسلم (٦٦٠٢).
(١١) رواه البخاري (١٥٥٣)، ومسلم (٧٣٣٢).